مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني

the foundations of arkoun reading the quran

د. جمال صالحي
djamal4580@gmail.com
جامعة ابن خلدون ـ تيارت

تاريخ الإرسال: 19|02|2020 تاريخ القبول: 19|11|2020

الملخـــص:

إنّ ما يُعرف اليوم بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم؛ هي تلك المحاولات التي استعانت بالمناهج النقدية الحديثة في تأويل النصوص، المستعارة من الفكر الغربي المعاصر من خلال عملية (إسقاط منهجي)، دون مراعاة خصائص الفكر العربي عموما، ثم النص القرآني خصوصا، وتعتبر قراءة محمد أركون واحدة من أهم المشاريع الفكرية التي حاولت أن تصطحب المنجز العلمي في الغرب، لتأسيس رؤية جديدة في تناول النّص القرآني، بناء على آخر ما أنجزته النظريات النقدية الحديثة، التي أفرزت آليات وأساليب حديثة في فهم النص، غيّرت كثير من المفاهيم، كتحويلها سلطة إنتاج المعنى للمتلقي على حساب المؤلف ...الخ.

الكلمات المفتاحية: أركون؛ القراءة؛ ركائز؛ النص؛ القرآن؛

ABSTRACT:

What is known today as contemporary readings of the Quran; are those attempts that used the critical modern waysin theinterpretation of texts, borrowed from contemporary Western thought through the process of (systematic projection), without taking into account the Arab thought

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



characteristics, and the Quranic text in particular. These intellectual projects have tried to take the scientific achievement in the West, to establish a new vision in dealing with the Quranic text, based on the latest achievements of modern critical theories, which produced modern mechanisms and methods in understanding the text, it changed many concepts; like transforming the authority of producing of meaning to the receiver over the author account ...etc

Keywords: arkoun; readings; contemporary; word; the Quran

المقدمـــة:

شهدت المعرفة في القرن الأخير تحولات عميقة، كان لها الأثر الكبير على العلوم الإنسانية عمومًا، فهي بقدر ما وسّعت من مساحة البحث وآلياته، فقد ألزمت العقل العربي بإعادة قراءة تراث هذه الأمة وفق أسس ومناهج جديدة، وامتد هذا الإلزام إلى القرآن الكريم وعلومه، فظهر ما يعرف اليوم بالقراءات القرآنية المعاصرة، التي عنيت بتوظيف المنجز المعرفي المعاصر في قراءة النص القرآني.

وفي هذا الصدد يأتي مشروع محمد أركون كـــأحد أبرز المشاريع التي تناولت النص القرآني بناء على ذلك.

وتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على أهم الأسس النظرية والفكرية التي بنى عليها أركون قراءته للنص القرآني.

فما هي هذه الأسس التي شكّلت المنطلقات الحقيقية لدى أركون في تعامله مع القرآن؟ وما أهم مميزاتها ؟

وقد قسمت البحث إلى مبحثين، المبحث الأول: ماهية القراءة، ويتضمن ثلاثة مطالب:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

المطلب الأول: مفهوم القراءة، المطلب الثاني: مفهوم القراءة في سياق الاستعمال الحداثي العربي، المطلب الثالث: سمات القراءة الأركونية. المبحث الثاني: أسس القراءة الأركونية، ويتضمن مطلبين: المطلب الأول: أنسنة النص القرآني، المطلب الثاني: عقلنة النّص القرآني وخاتمة تم فيها رصد أهم النتائج.

متبعا في هذا كله المنهج الوصفي ومستعينا في كثير من الأحيان بالمنهج الاستقرائي من خلال استدعاء بعض النصوص والجزئيات التي يتسم بها المنهج الأركوني في عمومه.

المبحث الأول: ماهية القراءة.

المطلب الأول – مفهـــوم القـــراءة

ــ **تعريف القراءة لغة:** ليس من السهل على الباحث ضبط مفهوم كلمة "القراءة" في المعاجم اللغوية قديمها وحديثها، وبين ما هو متداول اليوم في الدراسات المعاصرة المهتمة بتأويل النصوص عموما، بما في ذلك النص الديني .فقد جاء لفظ القراءة في لسان العرب كأحد المصادر الثلاثة للجذر اللغوي "قرأ".

يقول ابن منظور: «ق ر أ: قرأه يُقْرَوُهُ ويُقَّرؤُهُ، ...، قرءًا وقراءة وقرءانا، ... فهو مقروء ... وقرأت الشيء قرءانا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض ... ومنه قولهم ما قَرَأت هذه الناقة سلى قطّ، وما قرأت جنينا قط، أي لم يَضْطَدِم رَحِمُها على ولد، وقال: قال أكثر الناس معناه: لم تجمع جنينًا ... وقرأت الكتاب قراءة وقرءانا ومنه سمي القرءان...قال ابن الأثير: «تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرءان، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جَمَعْتَهُ فقد قَرَأْتَهُ...»[1]

---

[1]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تع: خالد رشيد ا‌لقاضي، دار الأبحاث، ط1، 2008، ج11، ص 70.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

وقد جاء في مختار الصحاح "قرأ الشيء "قُرءانًا" بالضّم أيضا جمعه وضمّه، ومنه سميّ القرءان لأنّه يجمع السّور ويضمّها... "[1]

ويرد لفظ القراءة في المعاجم اللغوية المعاصرة: "قرأ يقرأ قراءة وقرءانا فهو قارئ، والمفعول مقروء، قرأ الكتاب ونحوه، تتّبع كلماته نظرًا، نطقَ بِها أو لَا، وقرأ الآية من القرآن تلاها، نطق بِها عن نَظَرٍ أو عن حِفظ[2] وجاء في معجم اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط في مادة "قرأ": "تتبع كلمات النص المكتوب نظرًا سواء وقع النطق بها "قراءة جهرية" أو لم يقع "قراءة صامتة"[3]، هذا على مستوى المعاجم .

كما عَرَفَ مفهوم القراءة تَغَيُّرا واضحًا حيث انتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى النقدي المعقّد يقول محمد عدنان سالم "لقد تطور مفهوم القراءة من المعنى البسيط السهل الذي يتمثل في القدرة على التعرف على الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة وهذا ــ الجانب الآلي من القراءة ــ إلى العملية العقلية المعقدة التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط ثم التحليل والمناقشة"[4]

أما على مستوى الدراسات الأدبية فهو يعني فك شفرة الخبر المكتوب وتأويل نص أدبي ما [5]

---

[1]– محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، الأردن، ط1، 2007، ص241.

[2]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008م، ج3، 1789.

[3]– مجمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص 722.

[4]– مجمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص 722.

[5]–ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص 502. –

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



ويرى عبد المالك مرتاض أن القراءة "تقوم على الذوق الخالص، فيغري المتأخر بإعادة النظر في قراءة المتقدم"[1] وعليه فالقراءة ليست عملية سكونية مغلقة بل هي عملية دينامية فعّالة تشهد حركية وقابلية للتوالد والتوهج"[2]

ثم إن مفهوم القراءة مفهوم مقترن بـــ"التأويل" فكل قراءة كما قيل تأويل، وكل تأويل قراءة فيصيران متلازمين، أي متكافئين، فيجوز الاستغناء بأحدهما عن الآخر، وقد نستغني بلفظ "التأويل" عن استعمال لفظ "القراءة" مادام لفظ التأويل مقررا في الاستعمال ومتداولا في التراث، كما أنّ القراءة مفهوم منقول قلق؛ إذ اضطرب فهمه في موطنه كما اضطرب تصنيعه عند منظريه من المعاصرين اضطرابا[3]

فمصطلح القراءة من المصطلحات التي خضعت للتطور في ظل التقدم الحاصل على مستوى المدارس النقدية الحديثة .

ـــالمطلب الثاني: مفهوم مصطلح "القراءة" في سياق الاستعمال الحداثي العربي.

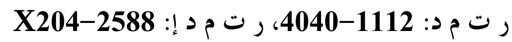
إن مصطلح "القراءة" من المصطلحات التي حظيت بحفاوة كبيرة في المؤتمرات الفكرية والندوات العلمية؛ إذ يجبذه الكثيرُ من الباحثين ويستخدمه العديد من الكتّاب، ربما لما يحمله من تحرير فكري وإبداعي، أو لأنّه يحفظ للجميع خصوصياتهم وأرائهم،

---

[1]– عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2003م، ص 77

[2]– ينظر: مولاي علي بو خاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق ط2005م، ص 262.

[3]– ينظر: طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في افق التأسيس لأنموذج فكري جديد، جمع وتقديم رضوان مرحوم، لبنان، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط1، 2015. .ص 45

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

ويفسح لهم المجال واسعاً ليقولوا ما شاؤا تحت هذه المظلة مظلة "القراءة" التي تَقِيهِم نزعات الإديولوجيا، وعصبية المقدَّس، خاصّة إذا تعلق الأمر بالنصّ القرآني.

بيد أنّه ليس من السهل ضبط هذا المصطلح بمفهومه الحداثي، إلّا بعد النظر الفاحص في استعمالاته، والتدقيق العميق في إطلاقاته، إذ تراه يـــتأرجح بين مجموعة من المفاهيم المختلفة، بل والمتضاربة أحيانًا؛ وذلك لاختلاف أصحابِ القراءاتِ في المناهجِ والايديولوجيات، فلكلٍ خلفية علمية معينة، ومسبقات فكرية خاصّة تفرض عليه نمطاً ما في محاولة وصوله لمعاني النصوص، غير أنّها في الغالب الأعمّ تصبّ في إناءٍ واحدٍ؛ إذ هي تجريدُ النصّ القرآني من قدسيته والتعامل معه كأيّ نصٍّ بشريٍ، وإخضاعه للنقد المجرّد من الضوابط التي أسّسها الأوائل باعتباره نصاً ربانياً متعالياً يحمل وحياً وإعجازًا .

وربما يرجع ذلك إلى أنّ النقد الأدبي، والغربي خاصّة، هو الذي أسّس لفكرة حرية القراءة والإبداع لينتقل تطبيقها بعد ذلك على النصوص الدينية عمومًا، والنص القرآني خصوصاً على أيدي رواد الحداثة العرب، لِذَا أصبحت القراءة تتَلَوّن وتتعدّد بتعدّد أصحاب هذه القراءات.

إنّ ممارسة فعل "القراءة" في الفكر الحداثي على أي نصّ، يشترط بالضرورة تعدد دلالات ذلك النصّ، بـــ "تغير آفاق القراءة مكانيًا أو زمانيًا وتصبح القراءةُ إبداعَ نصٍّ على نصّ "[1]

فهذا محمد أركون يجعل عنوان مشاريعه الفكرية، خاصّة المتعلقة بالقرآن الكريم "قراءات" حيث وسمها بـــ "قراءات في القرآن"[2] مؤكّدًا على خصوصية التعدّد.

[1]– نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، القاهرة، سينا للنشر، ط2، 1994، ص142.

[2]– محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: صالح هاشم، بيروت دار الطليعة، ط2، 2005، ص5.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

فالنصوص أمام القراءة سواء، وعلى النصّ القرآني كمثله من النصوص أن يستجيب لكلّ فكرٍ ولكلّ قراءةٍ مهما كانت؛ لأنّ "كل قراءة في الواقع المعطى تخلق واقعها، أي تشكل معطى جديدا يسهم في تغيير الواقع ...وكل قراءة في النص تشكل "واقعة مضافة" كما أن كل قراءة في الواقع تسهم في تجديد النصوص والمعنى "[1].

كلام يبوءُ كل ذِي نحلةٍ وفكرٍ، بلغ أم لم يبلغ شروط وآليات التعامل مع القرآن الكريم أن يقول ما شاء، بدعوى أنّه ليس من حقّ أحدٍ أن يحتكر فهم معاني آيات التنزيل، كما يمكن للقراءة عند الحداثيين أن تتجاوز وتتعدى، بل تلغي النصّ بالمطلق، فـــ "قد تكون أي ـــ القراءة ـــ شرحًا للنصِّ أو تفسيرًا له، وقد تتعدى التفسير والشرح لكي تكونا تأويلاً، وصَرفاً لما يحتمله الكلام من المعاني والدلالات؛ ولكن قد تتعدى التفسير والتأويل، فتتجاوز المؤلف ومراده، أو المعنى واحتمالاته لتكون تشريحًا وتفكيكًا للبنى والآليات والمؤسسات التي تسهم في تشكيل الخطاب وإنتاج المعنى"[2].

وكأن المقصود من "القراءة" ليس فهم المعاني التي يريدها صاحب النص بل تجاوزها والآليات الموصلة إليها لحد التفكيك والتركيب بما يتناسب والقارئ (المتلقي) لأن "القراءة التي تقول ما يريد المؤلف قوله لا مبرر لها أصلًا، لأن الأصل أولى منها ويغني عنها، إلا إذا كانت القراءة تدعي أساسًا أنها تقول ما لم يحسن المؤلف قوله وفي هذه الحالة تغني القراءة عن النص وتصبح أولى منه وهكذا فثمة قراءة تلغي النص"[3]

[1]– علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك،، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص21.

[2] – المرجع نفسه ص25.

[3]– علي حرب، نقد النص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص20. في هذا الكلام إشارة إلى نظرية ما اصطلح عليه بـــ"موت المؤلف" التي دعا إليها الناقد الفرنسي رولان بارت وغيره،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



بهذه الطريقة تصبح القراءة تغييرًا للمعنى وتحويرًا لمقاصد المؤلف وإنتاجًا لمعاني أخرى قد تكون منافية لما يريده صاحب النصّ؛ لتنقطع الصلة نهائيًا بين النصّ وقائله، وينتصر القارئ على المؤلّف ويستأثر بتكييف النصّ واستنطاقه وتأويله كيفما شاء.

كل هذا إنما القصد منه التجديد كما يراه رواده؛ والانفلات من عباءة القديم والاستعانة بالآليات الحداثية الجديدة التي تستلهم من العلوم العديدة في استنطاق النص، لتتعدى بذلك ما عليه كتب التراث، ولعل هذا الولع بالجدة والتجديد هو ما أخذ كثيرًا من الكتّاب أيما مأخذ في الطعن والتحامل على المقدسات يقول حسن حنفي "نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما أو للتراث"[1]

فقدسية المصدر إذاً هي الحائل للقراءةِ الصحيحةِ السليمةِ الجديدة، وهي "السياج الدوغمائي المغلق"[2] الذي يجعل من التراث محكوما بمنطق زائف جامد يحتاج لرؤية تجديدية تحريرية، يقول طيب تيزيني في إطار رؤيته التجديدية "إن هذه المحاولة التجديدية وما يتصل بمعجميتها أريد لها أن تبدو تحريرا للموقف الأصوليوي من زيفة المنطقي وفضاضته الاديولوجية الجمودية "[3].

واشتد عودها مع الطرح البنيوي الذي يقصي سلطة المؤلف في إنتاج الدلالة وهيمنته على النص، وإعطاء القارئ كامل السلطة في عملية التأويل والقراءة وبالتالي إنتاج الدلالة بما ما لايدع للمؤلف مجالاً فيها.

[1]– حسن حنفي، التراث والتجديد موقعنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1992م، ص154.

[2]– محمد أركون، المصدر السابق، ص7.

[3]– طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع، ط1997، ص29.

فالقراءة الجديدة هي التي تتبنى منهج الهدم؛ هدم المتعالي والمقدس والمطلق وإطلاق العنان للقارئ لإعمال فكره بلا قيد ولا ضابط .

ثمّ إنّ القراءة التي ينشُدُها الحداثيون، والتي ينبغي أن تكون جديدة منفصلة عن كل قراءة سابقة، ينبغي أيضا أن تنفصل في الآليات الموصلة للمعاني والدلالات، على اعتبار أنّ المُحَدِّد للآليات هو طبيعة الأسئلة، وبذلك يقع التمايز بين قراءة وأخرى في الآليات والمآلات، وتصبح القراءة فعلاً منتجة.

هذا ما يؤكده صاحب إشكاليات القراءة فــ "طبيعة الأسئلة تحدد للقراءة آلياتها....وبذلك تكون القراءة منتجة"[1]، بخلاف القراءة الإيمانية[2] فهي قراءة مسجونة منغلقة، لا يمكن أن تُتِيح للباحث كشفًا علميًا ولا فهمًا سليمًا للقرآن، بفعل القيود المسلّطة عليه إيمانيًا، إذ تُبقِيه تحت وطأةِ الضوابط الصّارمة، والحدود المحرِّمة التي تَحجُبُه عن المعاني، فلا ينفّك قابعًا في سياجِه الدوغمائي؛ بل عليه أن يتجرّد من ذلك كله ويتحرّر، ليرتَمِي في أحضان القراءة المتسكّعة المتشرّدة؛ لأنّها هي وحدها ما يمكنه أن يحقّق القراءة المنتجة، وهي التي يدعو إليها أركون ويحلم بها إذ يقول "فيما يتعلق بالقرآن

[1]– نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط7، 2005، ص6.

[2]– قد ذكر أركون هذه القراءة وأفردها كعنصر للدراسة؛ ويقصد بها الدراسات والقراءات والتفاسير التي تلتزم بضوابط التفسير العامة، وتتعامل مع النص القرآني باعتباره نصاً مقدساً، يُنظر: محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، بيروت، دار الساقي، ط1، 1999م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



بشكل خاص، فإنّي سأدافع عن طريقة جديدة في القراءة، طريقة مُحرَّرَة ... إنّ القراءة التي أحلم بها هي قراءة حرّة إلى درجة التشرّد والتسكّع في كل الاتجاهات..."[1]

فهذا مبلغ ما وصل أو يريد أن يصل إليه أكثر الباحثين في فضاء الحداثة، في تعاملهم مع القرآن الكريم، إنّها الحرية المتجرئة على قداسة النص، المنتَفِضة ضدّ كلّ تفسيرٍ تراثي يكترث للضوابط والحدود.

ويضيف أركون موضحاً أقصى ما يصبو إليه في قراءته المرجوة "إنّي أدافع عن هذه القراءة الجديدة ... وأنا أفكر بالطبع بالحرية الخلّاقة لشخص كابن عربي، ولكن الحرية التي أتجرأ على الحلم بها أكثر انفجارًا أو تفجيراً منه بكثير؛ وذلك لأنها تشمل كل الصيغ أو التجارب الإنفجارية التي حاول أن يصل إليها كبار الصوفيين والشعراء والمفكرين والفنانين".[2]

لا يكتفي في قراءته المرجوة بحد انفجار ابن عربي، بل أكثر، وعلى مستويات متعددة تتعدى الانفجار الصوفي إلى الفنون الأخرى أي؛ إلى "قراءة انفجارية جامعة" وواعية ومنتجة وحرة ورافضة لــ "القراءة المهيمنة"[3] التي لا تولي للكشوفات والإضاءات العلمية حقها، لفهم القرآن حق الفهم، إذًا "ليس لها أهمية كشفية أو معرفية بقدر ما لها أهمية وثائقية، بمعنى أنه لا يمكن أن نستفيد منها لفهم القرآن وإضاءته إضاءة علمية من الداخل ... ولا يمكن استخدامها من أجل إغناء معرفتنا بالظاهرة القرآنية"[4]

---

[1] – المصدر نفسه، 86.

[2] – المصدر السابق، 86 ــ87.

[3] – طيب تيزيني، المرجع السابق، ص12.

[4] – محمد أركون، المصدر السابق، ص71.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25 03 2021


فالتفاسير التي غصّت بها مكتباتنا من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لا تكمن أهميتها إلّا في التوثيق؛ لأن عقول هؤلاء المفسرين لا يمكن أن تحقق الإضافة العلمية المطلوبة، ولا يمكن أن تبلغ الاستنارة التي حظي بها الحداثيون بعد أن مزجوا معارفهم العربية الإسلامية بمعارف وعلوم الغرب، فاكتسبوا الآليات والوسائل العلمية السليمة التي تمكن من الفهم الصحيح للنص الديني "القرآن"؛ فهذا التصور النقدي اللاذع للتراث عمومًا والتراث التفسيري خصوصا ليس جديدًا إنما هو من صميم الرؤية الفكرية لأركون ضمن مشروعه الفكري في نقد العقل الإسلامي .

بهذا تكون القراءة الحداثية طامسةً لكل تفسير قديم، على اعتبار أنها قراءات مترَوية ومنغلِقة، بخلاف ما عليه القراءة الحداثية التي ترتكز على مجموعة من المقومات والخصائص؛ فهي حرّة من كل سلطة نصّ أو مؤلِّف أو قداسة، وهي منتجة؛ ولها أن تستنطق وتقول ما تشاء، وهي أيضا جديدة في كل مرة لاتشبه أي قراءة، هكذا يمكن أن تتميز القراءة الحداثية عن غيرها من القراءات في نظر روادها

– المطلب الثالث: سمات القراءة الأركونية للنص القرآني:

يعتبر مشروع القراءة الجديدة لدى أركون من بين المشاريع الرائدة في العالم العربي والإسلامي، التي اتخذت من التراث والواقع الإسلامي حجر الأساس لتشكيل مقاربة تاريخية نقدية تسعى لزعزعة النظام المعرفي السائد بوضعه في طاولة التشريح، ومحك النقد العقلي، باعتباره عائقا حقيقيا لتأسيس الحداثة الفكرية .

ولعل أساس القراءة الاركونية ومدارها هو "النص القرآني" وهذه القراءة التي يتبناها أركون جاءت في متْنِهِ موصوفة بالعديد من النعوت الموضحة لها، منها أنها:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



ـــ **قراءة جديدة استكشافية**[1]: فهي تُخضع كل شيء للمساءلة بغية الوصول إلى اللامفكر فيه، واستكشاف المسكوت عنه، ولا تستبعد من هذه المساءلة "النص القرآني" بل هو أول من يخضع لها عملا على تعرية التحويرات والتحويلات التي مورست حوله، فـــ "تراه ـــ أي أركون ـــ ينزع إلى مساءلة النص القرآني نفسه، والتعامل معه لا بصفته لائحة تعليمات وأوامر ... بل بصفته خطابا"[2] حيث يرى أن المقاربة التي يقترحها هي مقاربة منهجية استكشافية لأنها تتعامل مع النص القرآني من منظور التاريخية يقول أركون "سوف نخضع هذا المقترح الاستكشافي لجميع أشكال التحريات أو التمحيصات الممكنة ...وهذا يعني أننا سوف نعلق أو نعطل كل الأحكام اللاهوتية التي تقول بأن الخطاب القرآني يتجاوز التاريخ كليا"[3] وهو بهذا يكون متأسيًا ومقلدًا لمنهجية رواد الحداثة الغربيية في القرن التاسع عشر "التي توصلت إلى تهميش العامل الديني والروحي المتعالي وحتى طرده نهائيا من ساحة المجتمع واعتباره يمثل احدى سمات المجتمعات البدائية"[4] وبناء على ذلك يدعو أركون للقيام بالكثير من المراجعات والتصحيحات على المنهجية القديمة، وتعديل منظوراتها من أجل إدخال المنهجيات الحديثة والإشكاليات الجديدة التي تفرض نفسها والتي كانت مهملة سابقا[5] ـــ

---

[1] – محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، مصدر سابق، ص 17..

[2] – مجموعة من المؤلفين، محمد أركون، المفكر، والباحث، والانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2011م، ص 73.

[3] – محمد أركون، المصدر السابق، ـــ ص 73.

[4]– محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط3، 1996م، ص 68.

[5]– محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الاسلام اليوم؟، تر: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د، ت، ط)، ـــ ص 53.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: **1112–4040**، ر ت م د إ: **2588–X204**



المجلد: **34** العدد: **03** السنة: **2020** الصفحة: **335–360** تاريخ النشر: **2021.03.25**

– **قراءة نقدية تفكيكية:** تمثل الأرثوذكسية الدينية بالنسبة لأركون حجابا يحول دون تجديد الفكر بشكل جذري، ورؤية الأمور بوضوح، ولا يمكن إزاحته إلّا عبر المرور بـــ"مرحلة تفكيك استكشافية داخلية للتراث لم يسبق لها مثيل "[1] والتعامل مع ظاهرة الوحي بعين الناقد من خلال توظيف أحدث أدوات التحليل والتفكيك[2] ودراسته استنادا على معطيات جديدة"[3]

ولعل من خصائص المنهج التفكيكي الذي يمارسه أركون أنه "يقطع الصلة مع المؤلف ومراده، ومع المعنى واحتمالاته، به يجري التعامل مع الوقائع الخطابية وحدها، لا بصفتها إشارات تدل أو علامات تنبئ بل بوصفها مواد يجري العمل عليها لإنتاج معرفة تتعلق بكيفية إنتاج المعرفة والمعنى، ولهذا فإن التفكيك يتجاوز منطوق الخطاب إلى ما يسكت عنه ولا يقوله، إلى ما يستبعده ويتناساه، إنه نبش للأصول وتعرية للأسس وفضح للبداهات، من هنا يشكل التفكيك استراتيجية الذين يريدون التحرر من سلطة النصوص وإمبريالية المعنى أو ديكتاتورية الحقيقة"[4]

كما أن أركون يعتمد المنهجية الانتربولوجية لأنها تهتم بقراءة الإنسان بكل جوانبه ولأن العلم الانتروبولوجي "يمارس عمله كنقد تفكيكي، وعلى صعيد معرفي، لجميع الثقافات البشرية المعروفة" .[5]

[1]– محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 09.

[2]– ينظر: علي حرب، نقد النص، مرجع سابق، ص09ــ10.

[3] – ينظر: محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص47. 3

[4]– علي حرب، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، الممنوع والممتنع، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م، ص 22.

[5] – محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 07.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



ــ **قراءة تجاوزية:** تتجاوز كل أنماط القراءات وأنظمة الفكر القروسطي الارثوذكسي، من خلال القطيعة المعرفية مع ما سبق من مناهج ومعارف، فالقراءة الإيمانية ــ على حد تعبير أركون ــ تمثل عائقًا وسياجًا حائلًا دون فتح أفق القراءة لسببين" "أولًا كل أنماط القراءات أو مستويات الاستخدام الإيماني للقرآن مسجونة داخل السياج الدوغمائي المغلق[1]. ثانيًا: أن كبريات التفاسير الإسلامية التي فرضت نفسها كأعمال أساسية ساهمت في التطور التاريخي للتراث الحي تمارس دورها كنصوص تفسيرية أرثوذكسية (أي مستقيمة صحيحة مجمع عليها من قبل رجال الدين)"[2]

وعليه وجب اتباع منهج يتجاوز هذا المسلك في التعامل مع النصوص، الذي يتخذ من استراتيجية الرفض سبيلا له، من خلال ترسانة الإكراهات الفكرية، ويتم هذا التجاوز بتفكيك "البدهيات والمسلمات والموضوعات أو المضامين التي تنسج وتؤسس التماسك المغامر ...و الحفر على أساساتها"[3]

فأركون كما يقول عن نفسه أنه "مسكون بهاجس التعدي والنقل والتجاوز لكل التعريفات والتصورات المفهومية ...الموروثة في التراث الاسلامي[4]

ــ **قراءة مفتوحة:** يعتبر النص القرآني أرضا خصبة، ومجالًا رحبًا يستوعب ويتقبل؛ بل ويستدعي تطبيق كل منهج وكل قراءة في نظر أركون "لأننا نعلم أن مادة

[1]– هذا المصطلح من اختراع أركون، ويقصد به أن عقلية المؤمنين مسجونة داخل قفص لا تستطيع الخروج منه، وهذا القفص (أو السياج) هو العقيدة الدينية ...، واسم المصطلح باللغة الفرنسية (la cloture dogmatique).

[2]– محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 65.

[3]– محمد أركون، المصدر نفسه، ص67..

[4]– محمد أركون، المصدر نفسه، ص67..

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



البحث (أي القرآن) تتطلب تطبيق كل المناهج عليها وليس فقط المنهجية الفيلولوجية ـــ التاريخاوية. إنها تتطلب التدخل على كل مستويات إنتاج المعنى وآثار المعنى من أجل توضيح ملابسات هذا النص المؤسس"[1] كما يُشترط لقارئ النص القرآني التزود بعدّة ضخمة من المناهج النقدية "وتكوين علمي والإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير والنقد الابستمولوجي"[2]، فهذه" المدونة ذاتها مفتوحة أو منفتحة على الرغم من محدوديتها أو اكتمالها.أقصد أنها منفتحة على السياقات الأكثر تنوعا، والتي تنطوي عليها كل قراءة أو تفرضها، ... مفتوحة على التحسينات النصية التي قد يقدمها النقد الفيلولوجي او اللغوي ـــ التاريخي"[3]

فأركون يرى أن النص القرآني منفتح ويقبل عدة قراءات وليس قراءة واحدة، ولذلك فهو ينتمي إلى الجيل الذي يؤسس لقراءات: "ترى في النص ظاهرة ثقافية تقترح لها مناهج للتفكيك والتأويل بالاعتماد على فتوحات العلم الحديث ".[4]

ـــ المبحث الثاني: أسس القراءة الأركونية:

تَنْبَنِي القراءة الأركونية على مجموعة من الأسس التي من خلالها تَتَكَشَّف معالم المنهج المعتمد في القراءة، حيث تعتبر البنية التي أقام عليها أركون رؤيته الفكرية لمعالجة النص .

[1] – محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 46.

[2] – أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق ص 46..

[3]– محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 115 ـــ 116

[4]– محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 115 ـــ 116

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

المطلب الأول: أنسنة النص القرآني: إن المقصود بالأنسنة أو (التأنيس) على حد تعبير طه عبد الرحمن هو "رفع عائق القدسية، ويتمثل هذا العائق في اعتقاد أن القرآن كلام مقدس؛ ... والآلية في إزالة هذا العائق الاعتقادي هي نقل الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري"[1]

وقد سعى محمد أركون لتجريد القرآن الكريم من قدسيته وأنسنته، ومماثلته للنص البشري طرائق عدة، إليك أهمها:

أولا– تبني مصطلحات غربية بدل المصطلح الإسلامي الأصيل: إن توظيف المصطلحات الدخيلة الوافدة والمستقاة من قلب الحقول العلمية الأوروبية، وإلغاء المصطلح الإسلامي الأصيل لدى اركون؛ ليس عملًا عفويًا وبريئًا؛ بل هو عملية منظمة ومقصودة ولها مكانها ضمن المشروع الأركوني بما يسميه المشكلات المفهومية[2] لِذَا يدعو إلى تفكيك الأنظمة الاصطلاحية، وهدفه فسخ العلاقة بين المصطلح والمضمون الذي يحمله، وافتعال فجوة تباعد بينهما حتى يتم فصل النص القرآني عن مصدره الرباني المتعالي، أو كما يسميها هو (الأشكلة) حيث يقول "إن هدفي من اختراع هذه المصطلحات الجديدة هو أشكلة كل المفاهيم والتصورات الموروثة عن الفكر الإسلامي"[3] ومن أمثلة ذلك استعماله مصطلح (الخطاب النبوي) بدل (الخطاب الالهي)[4] (المدونة

[1]– طه عبد الرحمن، روح الحداثة، طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2013م، ص178

[2] – محمد أركون، الأنسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي، مصدر سابق، ص 119.

[3] – محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 198.

[4]– محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص05..

النصية المغلقة) بدل (المصحف) و(واقعة القرآن) و(ظاهرة الوحي) (الظاهرة القرآنية)[1] بدل القرآن الكريم...إلخ، كما أنّه يعتب ويستنكر حتى على الخطاب القرآني استعماله لبعض المفردات من قبيل "مؤمنون" "مسلمون " "كافرون" "منافقون" "مشركون" "مهاجرون" أنصار"...إلخ[2] بدعوى أنه يضفي الصيغة اللاهوتية على هذه المصطلحات، وبالتالي توظيفها أيديولوجيا.

ثانيا ــ التسوية في رتبة الاستشهاد بين الكلام الإلهي والكلام الإنساني:

تستوي منزلة الاستشهاد بالقرآن مع الاستشهاد بالأقوال البشرية لدى رواد القراءة المعاصرة وذلك بحجة أنّ القرآن خطاب لغوي والنصوص الأخرى كذلك، فلا فرق.

ثالثاــ إهمال صيغ التقديس وعبارات التعظيم في التعامل مع القرآن الكريم:

إنّ اعتماد هذا الأسلوب في التعامل مع النّص القرآني هو محاولة لفصله عن كل ما يربطه بمصدره الإلهي وبعده الغيبي، خلافًا لما عهده جمهور المسلمين في وصفهم لكلام الله بصفات الإجلال والإكبار نحو: (القرآن الكريم) و(المبين) و(الحكيم) و(العزيز)، (الآية الكريمة) مما يؤدي إلى التعامل مع كتاب الله كنص لغوي مثله مثل أي نص بشري.

ــ **رابعاــ المماثلة بين القرآن الكريم والنبي عيسى عليه السلام:** ولعل هذه المقارنة والمشابهة التي يدعو إليها أركون تحمل أغراضا مبطّنة في محاولة أنسنة النّص،

[1] – استخدمت هنا مصطلح الظاهرة القرآنية و لم أستخدم مصطلح آخر لماذا؟ لان كلمة "قرآن" مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية . وبالتالي فلا يمكن استخدامها كمصطلح فعال من اجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التراث الإسلامي، ينظر: محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 200.

[2]– محمد أركون، الأنسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي، مصدر سابق، ص 120.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

حيث يقول: "فإنّ الشيء الذي يقابل يسوع المسيح في الإسلام هو القرآن بصفته الكتاب المقدس الذي يحتوي على كلام الله الموحى به، وأمّا يسوع المسيح بصفته تجسيدا لكلمة الله، فإنه يشبه المصحف الذي تجسد فيه كلام الله"[1]، وعليه فهذه المماثلة تفرض على المسلمين الذين ينفون عن المسيح الطبيعة الإلهية ويثبتون له الطبيعة النّاسوتية (البشرية)، أن يكونوا منصفين ويثبتوا للقرآن الطبيعة البشرية وبذلك يَنْفُون عنه الخصوصية الربّانية، وهذا ما يدعو إليه أركون صراحة ..

ــ **خامساــ التوسل بالنظريات النقدية والفلسفية الحديثة:** لم يجد أركون أي حرج في الاستعانة بكل النظريات النقدية الحديثة وتطبيقها على النّص القرآني ما استطاع إلى ذلك سبيلا، معتبرا مقتضياته البحثية لا تختلف عن مقتضيات غيره من النصوص.[2]

كما يرى أنّنا مضطرون لسلوك الطرق والمناهج الراهنة للمعرفة التي افتتحتها علوم الإنسان والمجتمع[3] وأنّه آن الأوان لكي نجعل المجتمعات العربية والإسلامية تستفيد من طُرُز الفهم الجديدة هذه التي يُنتِجُها لنا الفكر المعاصر"[4]

ــ **نتائج عملية الأنسنة في قراءة محمد أركون:** إنّ السعي من أجل تحقيق الأنسنة واستبعاد المفهوم التقديسي للوحي "من خلال الربط بين العلم الإلهي والعلم الإنساني، وتحويل الأول إلى الثاني من خلال صياغة مفهوم إنساني للوحي، مفهوم يستبعد الميتافيزيقي وينحاز للتاريخي"،[5] وذلك بغية تحقيق أهداف واضحة يكون فيها

[1] – محمد اركون، القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، مصدر سابق، ص 24.
[2]– محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 46.
[3] – محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 31.
[4] – محمد أركون المصدر نفسه، ص 68..
[5]– نقد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 187.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

القرآن نصًا كباقي النصوص متروع التعالي والقداسة؛ ولعلّ أهم النتائج التي حصلت من خلال تتزيل النص القرآني مراتب النصوص البشرية ما يلي:

– **أولا: نقض مفهوم الوحي**: إنّ المهمّة الأساسية التي اِضلع بها أركون ضمن مشروعه التأويلي كانت تهدف أساسًا إلى زعزعة مفهوم الوحي المتداول لدى جمهور المسلمين من خلال نقل "قراءة القرآن من إطار الإيمان إلى إطار التاريخ واللغة"[1] مع اختراق وانتهاك المحرمات والممنوعات السائدة أمس واليوم[2]

وهذه العملية لا يمكن أن تتم إلّا عن طريق أشكلة مفهوم الوحي حيث يقوم أركون "أولا بتفكيك المفهوم التقليدي للوحي، هذا المفهوم المسيطر على البشرية منذ آلاف السنين، وذلك قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية المتمثلة لإعادة تقييم هذا المفهوم المركزي وبلورة فهم آخر جديد له، "[3]

ثانيــ التشكيك في مصداقية وثبوت النص القرآني: إنّ العمل على أنسنة النص القرآني وتبني المناهج الغربية في التعامل معه أدى ليس فقط إلى الطعن في إطلاقية أحكامه ومضامينه بل حتى في ثبوت لفظه؛ حيث يرى أركون أنّ "انتقال الوحي من القرآن إلى المصحف، وهو أول حدث يثبت التدخل البشري في تغيير الوحي[4]

---

[1] – محمد أركون الإسلام والأنسنة، مصدر سابق، ص 181.

[2]– محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق.ص31.

[3] – محمد اركون، القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، الهامش، مصدر سابق، ص 17.

[4]– مختار الفجاري نقد العقل الإسلامي عند أركون، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2005م، ص118

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-204X
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335-360 تاريخ النشر: 25.03.2021



كما يشكك أركون في عملية الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة النصية الرسمية (المصحف) فهو لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات، فليس كل الخطاب الشفهي يدوّن وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق، نقول ذلك ونحن نعلم أنّ بعض المخطوطات قد أتلفت كمصحف ابن مسعود مثلا، وذلك لأن عملية الجمع تمت في ظروف حامية من الصراع على السلطة والمشروعية"[1]

ــ **المطلب الثاني: عقلنة النص القرآني**: إنّ المراد بمصطلح العقلنة هو (رفع عائق الغيبية، ويتمثل هذا العائق في اعتقاد أن القرآن وحي ورد من عالم الغيب"،[2] ولايتأتى هذا إلا بإخضاع الآيات القرآنية لكل وسائل النظر والبحث وفق ما تتيحه المنهجيات النقدية والنظريات الحديثة ــ وإليك خطة عقلنة [3] النّص القرآني:

–**أولا– تعظيم سلطة العقل**: يرى أركون أن العقل هو المعيار الأول في إنتاج المعرفة، ولا شيء يعلو على ما يقرره العقل، والنص القرآني كباقي النصوص اللغوية يَخضَع للمساءلة والمناقشة الفكرية، وهذا ما لم يحصل في الفكر الإسلامي ولذلك نجد أركون ينتقد العقول التي تتحرك ضمن معطى الوحي ويُمَجِّد العقل المَتَحَرِّر من كل سلطة؛ بل له كل السلطة إنّه العقل المنبثق الذي يدعو إليه أركون ولا يمكن أن نصل إليه

[1] – محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص188

[2] – طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص181.

[3] – لا نكاد نجد دارسا للتراث إلا وهو يدعي انه سينتهج المسلك العقلاني في النظر في التراث مُسَوِّلًا لنا بأنه لا أحد اعقل منه في تناول التراث حتى صارت العقلانية هوى في النفوس تتخذه إلها ينظر: طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في افق التأسيس لأنموذج فكري جديد، مرجع سابق. ص 52.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

إلا إذا كان "العقل قد تحرر نهائيًا من الإكراهات القسرية للتحجُّر الدوغمائي لكي يخدم المعرفة لذاتها وبذاتها")[1]

ثانيا– التوسل بعلم التاريخ ومقارنة الأديان: هذا العلم الذي يكون الاهتمام فيه متمركزا في المحل الأول حول دراسة وتحليل أنواع متعددة ومختلفة من التجربة الدينية، من حيث أصولها النظرية وممارساتها الواقعية ؛ وذلك عن طريق المقارنة بين الأديان محل الدراسة[2]. للتوصل إلى نتائج معينة، ولقد حاولت القراءة الحداثية المقَلِدَة أن تجلب هذه المناهج "مناهج علوم الأديان، علم مقارنة الأديان، وعلم تاريخ الأديان" إلى حَيِّز الدراسات القرآنية بعدما كانت نصوص التوراة والإنجيل مجالا خصبا ومادة خام لتطبيق هذه المناهج، وذلك بغية المماثلة بين القرآن ونصوص العهد القديم في إمكانية التعرض للتحريف، وكذا المشابهة في البنية من جانبها الخرافي والأسطوري، وفي هذا يقول أركون "لا ينبغي بعد الآن أن ندرس الإسلام لوحده معزولا عن مقارنته بدراسة المسيحية أو اليهودية مثلا، أو حتى الأديان الأخرى غير أديان الكتاب . لماذا؟ لأن الدراسة المقارنة تضيئه أكثر بكثير. وهكذا تدعو إلى تطبيق الدراسة المقارنة والانتربولوجية على الظاهرة الدينية الإسلامية "[3]

فأركون لا يرى أية خصوصية أو ميزة لنص القرآن الكريم، أو الدين الإسلامي عمومًا على بقية الديانات ويخضع لما تخضع له من مقارنة وتحقيق ... دون مراعاة

---

[1] – محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق ص 18..

[2]– ابراهيم تركي، علم مقارنة الاديان عند مفكري الاسلام، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002م، ص 12..

[3]– محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص 78.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

الفروق سواء على مستوى النصوص أو على مستوى المعتقدات، وهذا مدخل خطير للطعن في أسس الدين الاسلامي.

ــ إنّ تمكين العقل وتنزيله منزلة يعلو فيها على الكل، ويكون الوحي فيها مجرد تابع لما يمليه العقل أدى إلى نتائج وخيمة، هذه أهمها:

أولاــ التشكيك في العقائد والغيبيات: لعلّ الغلو في العقلنة، وتغليبها على ما قرره الوحي يؤدي لا محالة إلى التشكيك في العقائد أو إنكار كثير من الغيبيات واعتبارها مجرد أساطير وقصص لا حقيقة لها، أو أنّها لا تتجاوز أن تكون مجازات لغوية بلاغية للإيضاح والتبيان ليس إلّا، وقد صرح أركون أنّه من دعاة البحوث والدراسات التي تتبنى الطرح الانقلابي التفكيكي على المقدسات والغيبيات بقوله "إنّي أحلم بجمهور مستعد لتلقي البحوث الأكثر انقلابية وتفكيكا لكل الدلالات والعقائد واليقينيات الراسخة"[1] ولذلك فهو يرى أن هذه العقائد والتصورات التي تدّعي أنها الحقيقة المطلقة والإسلام (الصحيح) ما هي إلا مزاعم لا تستند إلى أي أساس علمي في ضوء الدراسات الحديثة، وعليه "ينبغي إعادة تفحص كل مكانة العامل الديني والتقديسي والوحي ودراستها على ضوء النظرية الحديثة للمعرفة"[2]

ثانياــ وصف القرآن بأنّه نّص وجداني لا عقلاني: إنّ الجانب البياني البلاغي والقصصي للنص القرآني يغلب على الجانب البرهاني المنطقي في نظر أركون وعليه فإنّ العقل المعتمد في هذا النص هو أقرب إلى العقل الخيالي الإبداعي منه إلى العقل الاستدلالي حيث يقول "نلاحظ أن الطابع الإبداعي الرمزي المجازي المتفجّر يطغى في الخطاب

[1]– محمد أركون، المصدر نفسه، ص 20.

[2]– محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 183..

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



القرآني على الطابع المنطقي، العقلاني الاستدلالي البرهاني القائم على المحاجّة"[1] وهذا كان سببًا فيما بعد لإنتاج العقلانية الإسلامية التي نشأت ضد المعرفة الأسطورية، المجازية الرمزية[2]

ــ الخاتمــة:

بعد هذه الجولة في فكر محمد أكون من خلال أهم أعماله خاصة المتعلقة برؤيته حول التعامل مع النص القرآني تمّ التوصل إلى النتائج التالية:

ــ يعتمد أركون منهج النقد والتفكيك من خلال الالتزام بمبدأ الشك على جميع مادة البحث دون النظر في طبيعة النصوص والتفريق بينها.

ــ يدعو أركون إلى تجاوز القراءات المسَيِّجَة بالعقل الأرثوذكسي ومبادئه، وتعويضها بالقراءة المرتكزة على العقل المنفتح على مختلف المستجدات المعرفية .

ــ القراءة النقدية التي ينتهجها أركون توظّف كل ما أنتجته الحداثة الغربية من مناهج ومفاهيم .

ــ استعانة أركون بعُدّة منهجية متنوعة في تعامله مع التراث عموما، والنّص القرآني خصوصا .

ــ إنّ محاولات (أنسنة، وعقلنة، وأرخنة) النّص القرآني التي يسعى إليها أركون، تهدف إلى تجريده من كونه كلاماً إلهيًا، حتى يتم إخضاعه لما تخضع له باقي النصوص من أشكال النقد .

[1]– محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص283.

[2]– محمد أركون، المصدر نفسه، ص 286.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 2021.03.25

ـــ يتبنى أركون مبدأ القطيعة التامّة مع الموروث التفسيري للنص القرآني، إلّا في حدود ما يخدم القضايا التوثيقية.

المصادر والمراجع:

1- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الاسلام اليوم؟، تر: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د، ت، ط).

2- محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط3،، 1996م .

3- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، بيروت، دار الساقي، ط1، 1999م

4- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: صالح هاشم، بيروت دار الطليعة، ط2، 2005م.

5- ابن منظور، لسان العرب، تع: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، ط1، 2008م.

6- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، الأردن، ط1، 2007م.

7- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008م.

8- مجمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.

9- مجمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021

10– سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م

11– ينظر: مولاي علي بو خاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ط2005م.

12– عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2003م.

13– طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في افق التأسيس لأنموذج فكري جديد، جمع وتقديم رضوان مرحوم، لبنان، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط1، 2015.

14– نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، القاهرة، سينا للنشر، ط2، 1994م.

15– علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك،، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005م.

16– علي حرب، نقد النص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م .

17– طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع، ط1997م .

18– حسن حنفي، التراث والتجديد موقعنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1992م .

19– نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط7، 2005م.

20– مجموعة من المؤلفين، محمد أركون، المفكر، والباحث، والانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2011م،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 335–360 تاريخ النشر: 25.03.2021



21– علي حرب، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، الممنوع والممتنع، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م.

22–طه عبد الرحمن، روح الحداثة، طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2013م.

23– مختار الفجاري نقد العقل الإسلامي عند أركون، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2005م.

24 – إبراهيم تركي، علم مقارنة الاديان عند مفكري الاسلام، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002م.